بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمَّن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام فعلمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، القائل في الحديث الشريف: «**الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**» (١).

ورضي الله عن الصحابة أجمعين وبعد: -

فإن النصح في الله لا يمنع صغيرًا أن يتكلم في حضرة الكبير، ولا يمنع قليل العلم من أن يدلي بدلوه في وجود العلماء. وما دفعني لكتابة هذا المختصر حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**» (٢) ويكفي الداعي إلى الله شرفًا أن يكونَ من هداه إلى الله في صحيفة أعماله يوم القيامة. فنحن جميعًا في صحيفة أعمال النبي ﷺ بدايةً من السيدة خديجة التي كانت أول من آمن به، إلى آخر مخلوق يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولقد وجدت في نفسي حاجة ملحة إلى أن أسهم بشيء على هذا الطريق الحق، طريق الدعوة إلى الله رجاء أن أُدرج ضمن دعائه ﷺ بقوله: «**اللهم ارحم خلفائنا**» قلنا: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «**الذين يأتون من بعدي**

(١) رواه مسلم (٥٥).
(٢) رواه مسلم ١٢٥٥/٣ رقم (١٤).

يروون أحاديثي ويعلمونها الناس» [1].

فهداني الله إلى جمع هذا الكتاب وترتيبه والذي سميته (البداية والنهاية في الخطب المنبرية). ولعل القارئ الكريم يستوقفه العنوان من أول وهلة في جزئه الأول، حيث كما نعلم أن هناك موسوعة (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير، ولكن أحب أن أوضح بعض الشيء أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - قصد بالبداية: بداية الخلق والخليقة، وتاريخ تلك الرحلة الموغلة في القدم فيما قبل ظهور الإسلام، ثم انتشار نوره في الآفاق حيث قام رسول الله ﷺ بتبليغ رسالة ربه واستقبلت البشرية عهدًا جديدًا نقلها من الظلام إلى النور.

أما فيما بين البداية والنهاية: فهو تاريخ الإسلام مما بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة إلى ما قبيل وفاة ابن كثير - رحمه الله. أما النهاية فيقصد بها - رحمه الله - الفتن والملاحم والبعث والنشور. ويعني بذلك ما ينتظر الإنسان في نهايته واستقراره استقرار أبدي في إحدى الدارين، إما نار أبدًا - ونسأل الله العافية - وإما جنة أبدًا - ونسأل الله ذلك. هذا ما قصده ابن كثير في مؤلفه البداية والنهاية.

أما ما أقصده في كتابي هذا من عنوان(البداية والنهاية): فإني أقصد بالبداية حث الإسلام على حسن الاختيار بين الرجل والمرأة حيث إن الأسرة نظام إنساني أكد الإسلام ضرورته، فهي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، وقد أولتها شريعة الإسلام السمحة من الرعاية والاهتمام ما يجعلها تتبوأ المكانة اللائقة بها، لتنطلق نحو آفاق أرحب من العزة والكرامة والعمل الصالح المفيد، فهي آية من آيات الله.

قال الله تعالى:{ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[2].

وقد حرم الله الزنى حيث أراد أن ينشأ الولد في جو أسري، تجري

(١) الطبراني في الأوسط ٥٨٤٦ قال الألباني: (موضوع) برقم (٧٤) ضعيف الترغيب والترهيب.

(٢) سورة الروم آية (٢١).

عليه تعاليم الإسلام في طفولته كالعقيقة وأحكامها، والختان والنفقة عليهم، والعدل والمساواة بينهم، وتربيتهم سلوكيًا واجتماعًيا، ومعالجة الظواهر المتفشية في الأولاد من منظور الإسلام.

ثم انتقلت إلى الباب الثاني والثالث وهو ما يتوسط البداية والنهاية. واشتمل الباب الثاني على: المراهقة والشباب وبينت معنى المراهقة لأهمية وخطورة هذه المرحلة، ثم الشباب والحرية، ثم تربية الشباب على الاستقامة، وحسن استثمار الوقت، وضرورة البعد عن المثيرات الجنسية، ثم تناولت موضوع العادة السرية المتفشية بين الشباب، ثم جريمة التدخين وحكمه دينيًا وضرره طبيًا، ثم دعوة الشباب إلى التخلي عن ظاهرتي الخوف والخجل، والتخلي عن ظاهرة الشعور بالنقص، ثم ضرورة استشعار الشباب مسؤولية الإسلام ومعالجة مشكلة البطالة من منظور الفكر الإسلامي، ثم انتقلت إلى الباب الثالث وهو مرحلة الشيخوخة وهو ما يتوسط البداية والنهاية أيضًا. وتناولت فيه الظروف المواكبة للشيخوخة، وحق المسن في الإسلام، والحث على طاعة المسنين والإحسان إليهم، ثم ختمته بالإحسان إلى الوالدين أي برهم، ثم انتقلت إلى مرحلة النهاية وهذا ما تناولته في الباب الرابع، بدايةً هل للإنسان أن يتمنى الموت؟، ثم الحديث عن سكرات الموت، والوصايا النافعة عند الاحتضار، ومآس تذكر بالآخرة، وغسل الميت وتكفينه، والصلاة على الميت وكيفتها، وآداب حمل الجنازة والدفن، والأشياء التي تنفع الإنسان بعد موته، وعند دخول الإنسان القبر حيث إنه هو الموعد المحتوم، وكلام القبر للإنسان، ثم النفخ في الصور والبعث، وأحوال الناس في أرض المحشر، والشفاعة العظمى، والحساب وشدته على الناس، وما فيه من أهوال عظام، ثم حوض النبي ﷺ الذي لن يشرب منه إلا المؤمن، ثم المرور على الصراط، ثم الاستقرار الأبدي: إما خلود في النار أبدا - ونعوذ بالله من ذلك - حيث فيها ما فيها من الشدائد والأهوال والويلات والحسرات، وإما خلود أبد الآبدين في جنات النعيم.

وبذلك يتضح لك أيها القارئ الكريم، أن هذا الكتاب قد تناول موضوعات مختلفة، ولكنها مؤتلفة؛ إذ تناولنا فيه سنة الأنبياء - عليهم

الصلاة والسلام - ألا وهو الزواج، ثم مراحل تطور هذا الكائن الإنساني، بداية من مرحلة الطفولة، وتربية الأطفال وما هي إلا فرع من تربية الفرد الذي يسعى الإسلام إلى إعداده وتكوينه ليكون عضوًا نافعًا وإنسانًا صالحًا في الحياة. ثم مرحلة الشباب. ولا يخفى على أحد أن الشباب هم عماد الأمة ورجال المستقبل. ثم مرحلة الشيخوخة وبيان أن الله يستحي أن يعذب من شاب شيبة في الإسلام. ثم مرحلة النهاية: الموت، وما بعده من أمور عظام، ثم الاستقرار في إحدى الدارين. وجدير بالذكر أن أبين في كلمتي هذه عدة أمور:

أولا: فقد استعنت كثيرًا بكتاب " منهج السنة النبوية في تربية الإنسان منذ بدايته وحتى نهايته "، الجزء الأول، لمؤلفه الدكتور/ بدير محمد بدير، وكتاب" تربية الأولاد في الإسلام " لمؤلفه الدكتور/ عبد الله ناصح علوان، لما وجدت في هذين الكتابين من معلومات جمة ومناهج تربوية متعددة، فجزى الله صاحبيهما خير الجزاء.

ثانيًا: راعيت في كل موضوع أن أبدأ بالحمد والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والشهادتين فقط، وتركت الأمر حتى لا يمل القارئ.

ثالثًا: ذكرت الآيات القرآنية مرقمة، وعزوت كل آية إلى سورتها.

رابعًا: اكتفيت بالنسبة" للحديث " بذكر مصدر أو مصدرين، واكتفيت أيضًا بالصحيح منها، وعدم الالتفات إلى الضعيف إلا في أقل القليل.

خامسًا: آثرت أن تكون الخطبة واحدة، يعني لم أفصل بين الكلام وبعضه وأقول هذه هي الخطبة الأولى، ثم الثانية، ولكن الكلام موصول بعضه تلو بعض، حيث إن خطبة الجمعة واحدة ولكن ما يتخللها يسمى بجلسة الاستراحة.

سادسًا: ختمت كل خطبة بدعاء واحد، ولعله من جنس الموضوع، وتركت الأمر اختياري لمن أراد المزيد مخافة الحشو والتطويل.

وختامًا أخي في الله:

اعلم أن الكتب كثيرة والمراجع وفيرة، ولكنها إسهامات على طريق النور، أرجو بها رحمة الغفور، مريدًا بها وجه الله ناصحًا بها إخواني في

الله، ولا ينفع القول ما لم يتبعه العمل، واعلم أنني حينما قمت بإعداد هذه الخطب لإلقائها في يوم الجمعة على منبر مسجد سالم أبي الفرج في (مدينة شربين)، أنني أعترف أن ما كتبته ما هو إلا محاولات بشرية، الغرض منها الوصول إلى الصواب، ولكنها مع ذلك عرضة للقصور، الذي يعتبر جزءًا من طبيعة البشر، والإنسان بطبيعته ميال للنقد حتى ولو كان هذا النقد على نفسه، فالإنسان لا يكتب كتابًا في يومه إلا قال في غده، لو قدم هذا لكان أحسن، ولو أخر هذا لكان يستحسن، ولو ترك هذا لكان أفضل، وهذا من أجمل العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جميع البشر، فلا كمال لمخلوق ولا تمام إلا للخالق سبحانه. فالكمال المطلق لله عز وجل، والعصمة فقط لرسول الله ﷺ، وأما عدا ذلك من سائر البشر، فهو عرضة للقصور، والله سبحانه وتعالى هو المطلع و الرقيب على القلوب. وفي نهاية المطاف لا أقول إلا كما قال القائل:

وما أبرئ نفسي إنني بشر ::: أسهو وأخطأ ما لم يحمني قدر

أسأل الله سبحانه وتعالى الهدى والرشاد، والتقى والعفاف، والتوفيق والسداد، إنه سميع قريب مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتبه: أبو محمد
يوسف عبد الغني كيوان – (شيخ مسجد السلاب) شربين
مصر – الدقهلية – شربين – محلة إنجاق
فجر الأربعاء ٢٧ – رجب – سنة ١٤٢٤ هـ
٢٤ سبتمبر – سنة ٢٠٠٣ مـ
للتواصل
محمول (٠١٠٠٥٨٤٩٢٢٨)
بريد إليكتروني
youssefkiwan@yahoo.com

* * *

تمهيـــد

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثًا ولن يتركهم سدى، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم، عرض على السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقًا ووجلا، وقلن: ربنا إن أمرتنا فسمعًا وطاعة، وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلا، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائبة، لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الأخرة الباقية، ولما علم الموفقون ما خلقوا وما أريد بإيجادهم شمروا عن سواعدهم واجتهدوا في عبادتهم لربهم [1].

والزواج إذا ما قصد به الإنسان أن يعف نفسه عن الحرام صار عبادة، فكما جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «... **وفي بضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم إن كان وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له بها أجر**».

إذًا، فالزواج سنة من سنن الأنبياء، وإذا ما قدر الله للإنسان الولد من هذا الزواج كان لزامًا عليه أن يرعاه رعاية حسنة حيث هو المسؤول عنه، وحيث إن الأب هو رب الأسر ة وراعيها، وكما أخبر النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» [2].

من خلال هذا التمهيد الموجز: فقد استبان لكل ذي عقل وصاحب رأي، أهمية المنهج التربوي للإنسان، وما سيمر به بعد ذلك من أهوال وأحداث عظام حتى يصل إلى إحدى الدارين.. إما إلى الجنة وإما إلى النار.

هذا وبالله التوفيق؛ وصلى الله وسلم على النبي محمد وآله الكرام تسليمًا كثيرًا.

* * *

(١) حادي الأرواح، بتصرف يسير.
(٢) سيأتي تخريجه في موضعه.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونشهد أن لا إله إلا الله الذي نعمه أكثر من أن تحصى أو تعد، ونشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله سيد الحامدين الشاكرين لله رب العالمين.. وبعد:

فإنه من فضل الله جل وعلا أن يسَّر لي إخراج هذا الكتاب - البداية والنهاية في الخطب المنبرية - في طبعته الأولى، وقد لاقى قبولاً واسعًا عند مختلف طوائف الناس، وهذا من فضل ربي عز وجل، وهو ما لم أكن أتوقعه قط، فالله الحمد والمنة، وكان ذلك مع نهاية عام ٢٠٠٦م في طبعته الأولى.

وقد وجدت بعض الأخطاء المطبعية في الطبعة الأولى؛ مما جعلني أقف مع الكتاب وقفة متأنية، فقرأته أكثر من مرة قراءة متأنية ناقدة حتى أقوم بتقويم وتصحيح ما ورد من أخطاء.

وها هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب في ثوبه الجديد، وقد اختلفت عن سابقتها في عدة أمور:

أولاً: قمت بتصويب الأخطاء المطبعية ؛ لأنها كانت تخل بالمعنى تمامًا.

ثانيًا: قمت بتحقيق وتخريج الأحاديث الواردة في هذا الكتاب، وهذا الأمر لم يكن مستوفيًا تمامًا في الطبعة الأولى.

ثالثًا: أضفت في مرحة الشباب موضوعًا وجدته من الأهمية بمكان، وهو موضوع " الشباب والتطور الإعلامي "؛ نظرًا لوجود التكنولوجيا والتقنيات الحديثة، ولاسيما بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير سنة ٢٠١٢م وما تضمنه الكتاب حول مرحلة الشباب من قبل.

رابعًا: إضافة لهذا الكتاب فإن هناك أكثر من كتاب خرجوا إلى النور والمكتبة الإسلامية بعد هذا الكتاب وهم: العطايا الإلهية في المناسبات الدينية، القول السديد في الوعظ الحميد، القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبيين، عمل الإنسان في ميزان الإسلام.

وبعد: فهذا جهد المقل، وأسأل الله العلي العظيم أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وطابعه وقارئه وسامعه وسائر المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

* * *